موقف زعماء جند فلسطين وقبائله بين الولاء للقبيلة والانتماء لمؤسسة الخلافة الأموية في الفترة بين (41-132هـ/661-749م)

مبارك محمد سالم الطراونة *

tarawnahmubarak@yahoo.com

محمد تركي محمد شطناوي

ملخص

تهدف الدراسة إلى التعرف إلى موقف قبائل جند فلسطين، وزعمائه من الخلافة الأموية، والذي اتسم بالتذبذب ما بين الولاء والانتماء أو التمرد والعصيان تبعا لمصالح الزعماء الذاتية، وانتماءاتهم القبلية والإقليمية. فقبائل الجند وزعماؤه وإن وقفت إلى جانب معاوية بن أبي سفيان وابنه وحفيده؛ إلّا أن موقفها من خلفاء بني أمية بعد انتقال الخلافة إلى المرواني ارتبط بقدرة الخليفة على إدارة شؤون الدولة، وحفظ التوازنات بين القبائل وفقا لموقفها السياسي المرتبط بمصالحها، وامتيازاتها. وأبرزت الدراسة تنكر الأمير ناتل ابن قيس لبعض خلفاء بني أمية؛ الذين كانوا في صراع مع عبدالله بن الزبير. وتطرقت الدراسة إلى مساندة قبائل الجند لحركات التمرد والعصيان التي قامت بها عشائر بلاد الشام منذ عهد الخليفة الوليد بن يزيد بن عبدالملك وحتى نهاية الدولة الأموية. وأكدت على دور ثابت بن نعيم وأبناء وأحفاد الزعيم اليماني رَوْح بن زِنْبَاع وأبنائه وأحفاده على المشاركة في حركات التمرد العصيان التي كان لها أثرها في سرعة انهيار الدولة الأموية وتدهورها.

الكلمات المفتاحية: جند، دولة أموية، اليمانية، القيسية، فلسطين،

* قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الإسلامية العالمية،الأردن .

تاريخ تقديم البحث: 2024/10/10م. تاريخ قبول البحث: 2025/2/9م .

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2025 م.

The Position of the Leaders of the Palestine's Jund and its Tribes towards Loyalty to the Tribe and their Sense of Belonging to the Umayyad Caliphate during the Period of (41-132 AH / 661-749 AD)

Mubarak Mohammad Tarawneh*

tarawnahmubarak@yahoo.com

Mohammad Turky Mohammad Shatnawi

Abstract

The study aims to identify the position of the tribes and leaders of Palestines' Jund towards the Umayyad Caliphate characterized by fluctuation between loyalty and rebellion caused by the leaders' self-interests. Their attitude towards the successors of Banu Umayyads after being replaced by the Marwanids was linked to the caliph's ability to manage state affairs. The study highlights Natil Ibn Qays's abandonment of some of the successors of Banu Umayyad, the support of the Jund tribes for the rebellion of the tribes of the Levant, and the role of Thabit ibn Na'im and the offspring of Rawh Ibn Zinba in participating in the rebellion movements, which influenced the rapid deterioration of the Umayyad state.

Key words: Jund, The Umayyad State, Al-Yamaniah, Al-Qaisiah, Palestine.

* Department of History and Islamic Civilization, International Islamic, University College of Arts and Sciences.

Received: 10/10/2024. Accepted: 9/2/2025.

© All rights reserved to Mutah University, Karak, The Hashemite Kingdom of Jordan, 2025.

التمهيد:

لقد كان للقبائل العربية التي شاركت في حركة الفتح الإسلامي في بلاد الشام، واستقرت فيه والتي كانت غالبيتها من اليمن دور واضح في المشاركة السياسية في العصر الأموي، ففي جند فلسطين استوطنت قبيلة لخم وجذام وعاملة وكنانة وقيس وكندة (البلاذري، 1979، ج1، ص170) وقد تذبذب موقف بعض زعماء هذه القبائل من الخلافة الأموية بين التأييد والمعارضة. وتناولت بعض الدراسات الحديثة بشكل عرضي الحديث عن مشاركة قبائل الشام في الأحداث السياسية في العصر الأموي؛ كدراسة رعد البرهاوي "أجناد الشام ودورهم السياسي والعسكري في العصر الأموي"، ودراسة محي الدين عرار "ظاهرة العصبية القبلية ودورها في سقوط الدولة الأموية" ، وجاءت هذه الدراسة لتعطي صورة واضحة عن موقف زعماء جند فلسطين وأمرائه من الخلافة الأموية مستقرئة للروايات التاريخية وفق المنهج الوصفي التاريخي التحليلي.

ولبيان موقف أمراء جند فلسطين من مؤسسة الخلافة لابدّ من عرض سريع للتنظيمات الإدارية في بلاد الشام أثناء الحكم البيزنطي، والتي كانت تعرف بنظام البنود (المسعودي (د.ت) ص150؛ عياش، 2002، ص61). واعتماداً عليها قسمت بلاد الشام إلى مناطق إدارية، وأطلق على كل منطقة جغرافية تخضع للإدارة والقيادة العسكرية (الغزي، 2017، ص129) جنداً، لإقامة العساكر المقاتلة فيها (ابن منظور، (1414هـ)ج3، ص121؛ خماش، 1988، ص414) ؛ بهدف العمل على حمايتها والدفاع عنها (ابن خياط، 1397هـ) ص303،298؛ ابن الاثير1994، ج4، ص129).

قسّمت بلاد الشام إلى أربعة أجناد هي: جند فلسطين، جند الأردن، جند دمشق، جند حمص، وأضيف جند قنسرين الواقعة على نهر قويق إلى الغرب من مدينة حلب كجند خامس أثناء خلافة الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41– 60 هـ/ 661– 680م)، وكان كل جند من هذه الأجناد يشتمل على عدة كور: وهي كل منطقة جغرافية تتبع لها عدد من القرى (ياقوت الحموي،1977، ج2، ص 122)، ولكل جند قاعدة أو مركز أو قصبة يتبع إليها، (المسعودي (د.ت) ص150؛ اليعقوبي(1422هـ) ج1، ص38، 39؛ العزي،2017، ص129) فكانت اللد الواقعة جنوب شرق من مدينة يافا قصبة جند فلسطين إلى أن تولّى سليمان بن عبدالملك الإمارة على جند فلسطين، فنقل قاعدة الجند إلى مدينة الرملة شمال غرب مدينة القدس بعد بنائها، وتنظيمها رغبة في حفظ التوازن بين القبائل العربية القاطنة فيه (ابن شداد، 1962، ج1، ص93،19؛ ياقوت الحموي، 1977، ج3،

69؛ البلاذري،1979، ج1، ص 145، 170) ووفقا لتلك التقسيمات الإدارية شكّل الخليفة أبوبكر في مطلع عام 13هـ/ 634م جيوش الفتح وحدد لكل قائد فتح جند من تلك الأجناد.

سارت عملية الفتح كما حددها الخليفة أبو بكر، وأكتمل فتح جند فلسطين موضوع الدراسة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتح مدينة قيسارية على ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوب مدينة حيفا. (العزي، 2017، ص129) في السنة 18هـ/ 639م. (قدامة بن جعفر، 1988، ص290؛ ابن الأثير (1348هـ) ج2، ص357؛ الطبري(1407هـ) ج4، ص484؛ اليعقوبي (د.ت) ج1، ص39،38)

أسند الخليفة عثمان بن عفان الإمارة على الأجناد جميعها إلى معاوية بن أبي سفيان، (الذهبي، 2003، ج4، ص 343؛ الصلابي، 2007، ج1، ص80) واستمرت إمارته حتى قرار عزله من قبل الخليفة علي بن أبي طالب، إلا أن معاوية تمنّع في بلاد الشام، (ابن قتيبة، 1904، ج1، ص 133؛ اليوزبكي، 1979، ص55) ولم ينفذ قرار العزل؛ معتمداً على وقوف قبائل بلاد الشام إلى جانبه في المطالبة بدم عثمان، والقصاص من قتلته، وأخذ يتقرب إليهم مستغلاً علاقات المصاهرة، ومنح زعمائهم الكثير من الامتيازات؛ وبذلك اعتمد عليهم في محاربة علي بن أبي طالب في موقعة صفين عام 37هـ/657م (اليعقوبي (د.ت) ج1، ص39؛ ابن كثير، 1988، ج12، ص260؛ عرار، 2017، ص66). ولكسب ولاء زعماء قبائل (اليمانية والقيسية) عمل على إغرائهم بالأموال والمناصب، فأسند إلى زعيم يمانية الشام مسلمة بن مخلد قيادة جيشه، (ابن كثير، 1988، ج7، ص269؛ المنقري (1382هـ)ج1، ص 207؛ ابن عساكر، 1995، ج12، ص260) وكلف الحارث بن خالد الأزدي اليماني (المنقري (1382هـ) ج1،ص 207؛ ابن عساكر، 1995، ج11، ص380) بمساعدته، وللمحافظة على طبيعة التوازنات القبلية في جند فلسطين أمّر شريك الكناني من قبائل قيس قيادة مقاتلة كنانة فلسطين (ابن عساكر، 1995، ج63، ص170) في حروبه مع علي، وولى ناتل بن قيس الجذامي قيادة مقاتلي يمانية فلسطين من قبيلتي لخم وجذام، (الطبري (1407هـ) ج3، ص266؛ المنقري (1383هـ) ص207؛ ابن عساكر، 1995، ج11، 380،381) وكلف شمير (شحير) بقيادة فرقة من جند فلسطين للمشاركة في الحملة التي أرسالها لفتح مصر بقيادة عمرو بن العاص عام 38هـ/ 658م، (الكندي، 1908، ص29؛ البرهاوي، 2007، ص 59) ولمنع يمانية مصر من معارضة عمرو بن العاص دبر معاوية مؤامرة لاغتيال الأشتر النخعي والي مصر من قبل علي بن أبي طالب، واستطاع بدهائه كسب ولاء العصبيتين بمحاربة نظيراتها في

جيش علي، (ابن الأثير (1348هـ) ج3، 151؛ ماجد، 1982، ج2، ص95) وبذلك تمكن معاوية بدهائه من ضم مصر إلى السيادة الأموية.

موقف أهالي جند فلسطين وزعمائهم من الخلافة الأموية :

وما أن آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان سنة 41هـ/661م عيّن على إمرة جند الأردن وفلسطين صهره حسّان بن مالك ابن بحدل الكلبي الذي فضّل الإقامة في جند الأردن؛ (الطبري (1407هـ)ج3، 326؛ ابن عساكر، 1995، ج12، 338،339؛ العزي، 2017، ص141) حيث أهله وعشيرته، وانتدب لإدارة جند فلسطين الأمير روح بن زنباع الجذامي، (ابن عساكر، 1995، ج12، ص449؛ البلاذري، 1979، ج5، ص 127؛ الذهبي، 2003، ج2، ص933) وأوصاه قائلاً: "انّي مستخلفك على فلسطين وادخل هذا الحي من لخم وجذام ولست دون رجل إذ كنت عينهم قاتلت بمن معك من قومك" (الطبري (1407هـ)ج، ص223؛ ابن الأثير (1348هـ) ج3، ص338، 339)

سار زعماء جند فلسطين على الرغم من اختلاف ولاءاتهم القبلية بمؤازرة يزيد بن معاوية (60-63هـ/ 680-683م) الذي ضمن ولاء القيسية بإقرار الضحاك بن قيس أميراً على مدينة دمشق، (ابن سعد،1968، ج7، ص410؛ ابن الأثير، 1994، ج3، ص409) وكلف روح بن زنباع الجذامي وشريك الكناني (ابن عساكر، 1995، ج18، ص240؛ الذهبي، 2003، ج2، 933) أحد زعماء القيسية بقيادة ألف رجل من أهالي الجند للمشاركة في الحملة العسكرية المعدّة لمحاربة أهل المدينة المنورة في وقعة الحرة سنة 63هـ/ 683م. (البلاذري، 1979، ج1، ص138؛ ابن عبدربه، 1965، ج5، ص138؛ ابن الأثير، 1997، ج3، ص340؛ ابن عساكر، 1995، ج18، ص240؛ اليعقوبي (د.ت) ج1، ص184)

وقد ساعدت أرض طبيعة الحرة الصخرية والبركانية جيش يزيد على الانتصار على أهل المدينة وأخذ البيعة من أهلها. (ابن خياط (1397هـ) ج1، ص321)

لم تسعفنا مصادر تلك الفترة بإعطاء صورة واضحة عن موقف معاوية الثاني من العصبيات القبلية في جند فلسطين؛ ربما لقصر مدة حكمه، ووفاته بعد وفاة والده بفترة قصيرة (ابن الأثير، 1997، ج3، ص347؛ ابن خياط (1397) ج1، ص321؛ ابن تغري بردي (د.ت) ج1، ص163؛ السيوطي، 1952، ص211) إلّا أن استمرار الضحاك بن قيس سيد القيسية وزعيمها بإمامة الناس في الصلاة في مدينة دمشق ريثما يجتمع الناس علي خليفة (الأصفهاني، 1955، ج17، ص111)

يشير إلى استمرارية ولاء الضحاك بن قيس، وقبائل القيسية لمعاوية الثاني. (ابن سعد، 1968، ج5، ص27؛ ياقوت الحموي، 1977، ج4، ص217؛ الأصفهاني، 1955، ج17، ص111؛ ابن العبري (د.ت) ص191؛ ماجد، 1982، ج2، 96).

أحدثت وفاة الخليفة معاوية الثاني عام 64هـ/ 683م ولعدم عهده لأحد من بعده بالخلافة أزمة سياسية، وخاصة بعد مبايعة عبدالله بن الزبير في الحجاز ومعظم أقاليم الدولة الإسلامية باستثناء جند الأردن الذي بقي على ولائه للأمويين. انقسمت أجناد بلاد الشام إلى فريقين: فريق ينادي بخلافة مروان بن الحكم، ويتزعمه حسان بن مالك الكلبي سيد قبيلة كلب، ويؤيده نائبه على فلسطين روح بن زنباع سيد جذام، (ياقوت الحموي،1977، ج2، ص91، 92) وفريق ثان ينادي ببيعة ابن الزبير بزعامة الضحاك بن قيس زعيم قيسية الشام، والذي عينه أبن الزبير على إمارة دمشق، وأيدته قبائل القيسية في جند فلسطين (ابن الأثير (1348هـ) ج4، ص151؛ الطبري، (1407هـ) ج6، 531) ودعمه زعيم قبيلة جذام اليمانية ناتل بن قيس الجذامي (ابن الأثير (1348هـ) ج3، ص328؛ عرار، 2017، ص86) بعد تعيينه على إمارة جند فلسطين من قبل ابن الزبير الذي استغل التنافس بينه وبين روح بن زنباع على الإمرة ونسب قبيلة جذام، (ابن عساكر، 1995ج61، ص123) وللاستفادة من مكانة ناتل ومنزلته بين أفراد عشيرته أسند إليه ابن الزبير قيادة العمليات العسكرية ضد الأمويين في الشام، وطلب منه أن يتخذ من فلسطين قاعدةً للمعارضة، ومنطلقاً لضم بقية أجناد بلاد الشام إلى خلافته، (الذهبي، 1985، ج3، ص 373) وخاطبه مستغلاً مكانته الاجتماعية بين قومه وفخذه الأدنى قائلاً: "ألا تكفيني قومك" (البلاذري، 1979، ج6، 258) فتعهد ناتل له بالوقوف إلى جانبه، وأرسل إلى حسّان بن مالك الكلبي رسالة شفوية، وبلهجة حادة قاسية قائلاً: "إمَّا تخرج من بلاد قومي وإمّا أَن أدخل عليك فأقاتلك، فعرف أبن بحدل أنه لا قوة له به وبقومه من جذام" (البلاذري، 1979، ج6، 258، 259؛ ابن عبدربه، 1965، ج2، 313، 314، 315) ولعلّ تركيز أبن الزبير على جند فلسطين جاء من منطلق معرفته بكيفية الاستفادة من طبيعة الصراعات القبلية بين القيسية واليمانية من ناحية والعداوة بين زعماء قبيلة جذام فيما بينهم من ناحية أخرى، في الوقوف في وجه حسّان الكلبي الداعم في استمرار الخلافة في البيت الأموي، وتمكن ناتل من أخذ البيعة لابن الزبير، وانضم إلى التحالف المعادي لبني أمية، والذي يقوده زعيم القيسية الضحاك بْن قَيْس في دمشق، والمطالب بمبايعة ابن الزبير في الحجاز (البلاذري، 1979، ج6، ص258، 264؛ عرار، 2017، ص86)

دعا الضحاك بن قيس أمراء القيسية من الأجناد كافة للوقوف معه ضد بني أمية، وانضم أمراء القيسية في جند فلسطين وحمص إلى جانب الضحاك؛ لانّهم يرون أفضلية ابن الزبير في قيادة الأمة لشجاعته وقرابته من الرسول عليه الصلاة والسلام، ولموقفه المعارض من قتلة عثمان. (ابن عبدربه، 1965، ج2، ص315،314؛ ابن الأثير (1348هـ) ج3، ص326) .

تمكن ناتل بن قيس زعيم جند فلسطين منافس حسّان بن مالك الكلبي والكاره لابن قبيلته روح بن زنباع من إقناع شيوخ قبيلتي لخم وجذام من اليمانية، وزعماء قيسية فلسطين بالوقوف إلى جانب قيسية الشام في محاربة مروان بن الحكم، ومؤيديه في منطقة الغوطة الى الشرق من دمشق في معركة عرفت باسم موقعة مرج راهط سنة 64هـ/ 683م. ولمّا رأت قبيلة جذام ازدياد نفوذ مروان بن الحكم بعد هزيمة القيسية في مرج راهط، ومقتل الضحاك بن قيس ايقنوا أنّ لا طاقة لهم بمحاربة مروان بن الحكم، فطلبوا من زعيمهم ناتل بن قيس أن يلحق بابن الزبير ليسلم هو وليأمن الجميع من تنكيل بني أمية، فتوجه ناتل إلى مكة وأقام عند ابن الزبير. (الطبري (1407هـ) ج3،ص34؛ ابن الأثير (1348هـ) ج3، ص273؛ اليعقوبي (د.ت) ج1، ص212) ولعدم اطمئنان الخليفة مروان بن الحكم لولاء زعماء جند فلسطين للخلافة الأموية أمّر ابنه عبدالملك بن مروان بالإشراف على إدارة الجند ومتابعة أحواله، وانتدب الأخير عنه الأمير روح بن زنباع لإدارة الجند وأوصاه بحفظ التوازن بين العصبيات القبلية والإحسان لأهالي الجند وزعمائه (البلاذري، 1979، ج6، ص286)

اعتمد الخليفة مروان بن الحكم (65هـ/ 685م) على يمانية فلسطين في ضم الحجاز للخلافة الأموية؛ بسبب انشغاله بمحاربة زفر بن الحارث زعيم القيسية المتحصن في قرقيسياء، فأرسل حملة بقيادة حبيش بن دلجة القيني. (ابن عساكر، 1995، ج12، ص 86؛ البلاذري، 1979، ج6، 287،286) لأخذ البيعة له من أهل المدينة، إلّا انهم هزموا في موقعة الربذة بالقرب من المدينة المنورة من قبل قوات ابن الزبير (البلاذري، 1979، ج6، 287،286؛ الملاح، 1987، ص57)

اغتنم ابن الزبير اضطراب الأوضاع السياسية بعد وفاة مروان بن الحكم، فأمر ناتل بن قيس بقيادة حملة عسكرية لضم جند فلسطين إلى خلافته، وطرد الزعيم اليماني روح بن زنباع من فلسطين، وأرسل أخاه مصعب بن الزبير مدداً لمساندته في السيطرة على جند فلسطين. (البلاذري، 1979، ج6، ص287،286) امتثل ناتل بن قيس لقرار ابن الزبير، وتوجه إلى فلسطين لمحاربة عاملها روح بن زنباع الجذامي بعد استمالة زعماء عشيرته من قبيلة جذام بالوقوف إلى جانبه، ومحاربة روح بن زنباع المتحالف مع قبيلة كلب التي كانت تستأثر بالامتيازات والمناصب من

دونهم. (البلاذري، 1979، ج6، ص258، 264؛ ابن عبدربه، 1965، ج2، ص314، 315) وبهذا الموقف المؤيد من جذام وأحلافها في فلسطين لناتل بن قيس الداعم إلى أبن الزبير تمكّن ناتل من حشد أربعة آلاف مقاتل وسار بهم إلى أرض فلسطين للقاء روح بن زنباع في معركة أجنادين، الأمر الذي دفع الخليفة عبدالملك بن مروان (65-86هـ/685-705م) قيادة حملة عسكرية لمحاربة ناتل بن قيس، وتمكنت من هزيمته في موقعة أجنادين سنة 66هـ/685م، وقتله وهرب اتباعه وتشتتوا، وإجبار مصعب بن الزبير العودة إلى المدينة المنورة. (البلاذري، 1979، ج6، ص274؛ ابن عساكر، 1995، ج26، 96، 98؛ ابن الأثير (1348هـ)ج3، ص3)

أسفرت موقعة أجنادين عن إثارة النعرات العنصرية بين أبناء العصبية الواحدة، فقد تغنى شعراء اليمانية من قبيلة كلب بانتصارهم على أبناء يمانية جذام، والثأر من أبناء القيسية لقتلى موقعة الربذة فيقول أحد شعرائهم:

"قَتَلْنَا بأجنادين سعداً وناتلاً ..... قصاصاً بما لاقى حبيش ومنذر" (البلاذري، 1979، ج6، ص274؛ المسعودي (د.ت) ج1، ص390)

يفتخر الشاعر في هذا البيت بقتل غريمهم سعد الجذامي ثأراً بمقتل حُبَيْش بْن دلجة القيني في يوم الربذة، والذي شـهد مقتله المنذر بن عبدالملك. (البلاذري، 1979، ج6، ص274؛ ابن الأثير (1348هـ) ج3، ص3)

على الرغم من استقرار أوضاع جند فلسطين من الناحية العسكرية في أعقاب موقعة أجنادين سنة 66هـ/685م لصالح بني أمية، إلا أنّ الخليفة عبدالملك بن مروان عمد إلى التخفيف من حدة النعرات العصبية بين القيسية واليمانية من جهة، وبين عشائر اليمانية فيما بينهم من جهة ثانية، فانتهج سياسة التوازن في علاقته مع القبائل الرئيسة، فأمر بدفع دية قتلى القيسية، واستضاف زعماءهم في قصره، وصالح زعيمهم زفر بن الحارث، وقربه هو وأبناءه، كما وتقرب من قيسية فلسطين وأعاد لقيسية الشام ما حرموا منه في عهد أبيه من العطاء منذ مؤتمر الجابية -وهي قريه من قرى مدينة دمشق - وسمح باستخدام مقاتليهم في الجيش الأموي، وأذن لشعرائهم مشاركة شعراء اليمانية في الدخول إلى مجلسه. (ماجد، 1982، ص97)

وللتخفيف من حدة الصراعات العصبية والنزعات بين اليمانية والقيسية على إمرة جند فلسطين، اصدر الخليفة عبدالملك بن مروان أوامره بان يكون أمير جند فلسطين أموياً من أبنائه أو إخوانه أو من الأمويين الموالين له أو إلى من يثق به من اتباعه ممن ترتضيه قبائل الجند، فعهد بإمرة الجند من بني أمية إلى يحيى بن الحكم من ولد الحكم بن أبي العاص، (البلاذري، 1979، ج6، ص310؛ ابن عساكر، 1995، ج6، ص158) ومن بعده لأخيه أبّان بن مروان بن الحكم، (ابن عساكر، 1995، ج6، ص158) ومن بعدهما لابنه سليمان بن عبدالملك، وبعد عزله للأخير أسند ولاية الجند بمشورة الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عمارة بن تميم اللّخمي،(الطبري (1407هـ) ج4، ص386، 390؛ ابن عساكر، 1995، ج60، ص92، 97، 98)وبهذه السياسة الإداريّة الحكيمة التي تعتمد على أمراء مقربين ومحايدين للحفاظ على وحدة الجند وولاء قبائله وزعمائهم تمكن من إنهاء حالة الصراع والمنافسات القبلية بين قبائل الجند.

ولكي يضمن الخليفة الوليد بن عبدالملك (86– 96هـ/705–715م) ولاء أهالي جند فلسطين وزعمائه، سار على نفس سياسة ونهج والده، وكلف أخاه سليمان بن عبدالملك بولاية الجند وترك له حرية التصرف في كسب ثقة سكان الجند، والعمل على إرضاء السكان، فنقل قصبة الجند من مدينة اللد إلى مدينة الرملة، واستمر في ولاية الجند حتى أتاه نعي أخية الوليد، فتركها إلى دمشق ليتولى مهامه كخليفة للمسلمين (ماجد، 1982، ص243)

تمكن سليمان بن عبدالملك أثناء ولايته للجند أن يكسب ود ومحبة وولاء زعماء جند فلسطين، وأهلها وخاصة اليمانية منهم فأحبوه وفضلوه هو وبنيه على غيرهم من أمراء بني أمية؛ لمآثرهم الكثيرة وأفضالهم على زعماء الجند وسكانه، ومنحه الكثير من الامتيازات لشيوخ القبائل وزعمائها، وسماحه لأهالي الجند بالاستثمار في الممتلكات والعقارات التابعة له ولأولاده دون مقابل، (الطبري (1407هـ) ج3، ص685) وقبول وساطة وهيب بن عبدالرحمن الأزدي أحد مشايخ قبيلة الأزد اليمانية في فلسطين باستجارة يزيد والمفضل أبني المهلب بن أبي صفرة ومخاطبة الخليفة الوليد بن عبدالملك قائلاً: "هذا يزيد بن المهلب وإخوته في منزلي مستجيرِيْن ومستعيذين بك من ظلم الحجاج وبطشه قال: فأتني بهم فهم آمنون لا يوصل إليهم أبدا وأنا حي فجاء بهم حتى أدخلهم عليه". (البلاذري، 1979، ج8، ص282) وتمكن بموقفه هذا من كسب ود ومحبة يمانية فلسطين وأمتدحهما ووهيب الأزدي أحد أفراد قبيلة كلب ممن رافق آل المهلب في المسير من العراق نحو فلسطين قائلاً:

"ألا جعل الله الأخلاء كلهم ..... فداء على ما كان لابن المهلب
لنعم الفتى يا معشر الأزد أسعفت ... ركابكم بالوهب شرقي منقب
عدلن يمينا عنهم رمل عالج ..... وذات يمين القوم أعلام غرب
فإلا تصبح بعد خمس ركابنا ..... سليمان من أهل اللوى تتأوب
تقر قرار الشمس مما وراءنا ..... وتذهب في داج من الليل غيهب
بقوم هم كانوا الملوك هديتهم ... ... بظلماء لم يبصر بها ضوء كوكب
ولا قمر إلا ضئيلا كأنه ..... سوار حناه صائغ السور مذهب"

(الطبري(1407هـ) ج 3، ص658؛ ابن الأثير،1997، ج4، ص26)

وما أن تولّى الخلافة سليمان بن عبدالملك (96-99هـ/ 715-717م) ولّى يزيد بن المهلب على العراق، وأمّر المفضل بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي (البلاذري، 1979، ج8، ص282؛ ابن عساكر، 1995، ج60، ص92، 97، 98) على جند فلسطين أحب الأجناد إليه. (البلاذري، 1979، ج8، ص282) ولعلّ موقف سليمان من تقريب اليمانية، وتولية أبناء المهلب مرده إلى ما أحدثته سياسة تولية ولاية العهد لأثنين من أفراد الأسرة الحاكمة من منافسات وصراعات على الحكم بين الخليفة القائم، وولي عهده وانعكاسها على تأرجح موقف القبائل، وزعمائها من الصراعات الداخلية بين أبناء البيت الأموي. ففي جند فلسطين كانت ولاءات زعمائه مع مؤسسة الخلافة الأموية متذبذبة ومتغيرة تبعا للخلافات بين أبناء الأسرة الحاكمة على ولاية العهد، فأثناء خلافة الوليد بن عبدالملك وعند محاولته عزل أخيه وولي عهده سليمان ابن عبدالملك، وتولية ابنه عبدالعزيز بدلا منه فوافقه في قراره الحجاج بن يوسف الثقفي والعديد من زعماء القيسية؛ (الطبري (1407هـ) ج3، ص658؛ ابن الأثير، 1979ج4، ص200) رغبةً في الحصول على الكثير من الامتيازات، وطمعاً في تحقيق مصالحهم السياسية والإدارية والعسكرية على حساب العصبيات الأخرى. فما أن علم سليمان بن عبد الملك بنية الوليد عزله حتى جعل من أراضي جند فلسطين مأوى للمعارضة من القبائل اليمانية لمساعدته في الوقوف ضد سياسة الوليد، ومستشاره الحجاج الثقفي، فوافق على إجارة

عدو الحجاج ومنافسه على الزعامة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وأخوته سنة 91هـ/ 709م. (ابن خلدون، 1988، ج3، ص81)

نهج عمر بن عبد العزيز (99- 101هـ/ 717-719م) بعد توليته الخلافة سياسية العدل؛ فساوى بين القبائل في العطاء، واعتمد مبدأ الكفاءة في تعيين الولاة؛ فعزل يزيد بن المهلب عن العراق لمماطلته في إرجاع خمس ما استولى عليه من الغنائم في نواحي بحر قزوين (البلاذري، 1979، ج6، ص337) وعزل المفضل بن المهلب عن جند فلسطين، وأرسل إلى هانئ بن كلثوم (الذهبي، 2003، ج2، 1181) يستشيره في تولية إمرة الجند إلا أنّه رفض. (ابن عساكر، 1955، ج27، ص61)

تشير المصادر المتوافرة لدينا عن أحوال جند فلسطين في عهد عمر بن عبدالعزيز على الرغم من شحها بذكر اثنين من ولاتها دون تحديد سنوات توليتهم وهما: النضر بن يريم بن الصباح من اليمانية (ابن عساكر، 1995، ج24، ص273؛ ابن خياط (1397هـ) ص336) وعبدالله بن عوف الكناني من قيسية أهل فلسطين الذي كان واليا على مدينة الرملة قاعدة جند فلسطين (ابن أبي سلام، 1986، ص525؛ العزي، 2017، ص145؛ ابن عساكر،1995، ج10، ص 299) فانتساب النضر لليمانية وانتساب عبدالله للقيسية يشير إلى سياسية التوازن التي اتبعها عمر بن عبدالعزيز في علاقته مع القبائل العربية القاطنة في جند فلسطين والتي تتسم بعدم التفرقة بين أي من قبائل الجند.

عاد التنافس القبلي بين العصبيات الرئيسة في الجند بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز إلى سابق عهده؛ إذ لم يتورع خليفته يزيد بن عبدالملك (101- 105هـ/720- 724م) عن إظهار ميوله للمضرية وتفضيله لهم، فضاعف عطاء القيسية مقارنة مع اليمانية، (مجهول، ص50؛ عرار، 2017، ص147) واختص القيسية بالمناصب والوظائف والامتيازات حتى اصطبغت الدولة في عهده بالصبغة القيسية، فعادت العصبية سيرتها منذ يوم مرج راهط، وأخذ الخلفاء من بعده يتباينون في الميل نحو القيسية حينا، ونحو اليمانية حينا آخر (حسن، 1964، ج1، ص 337،338) ولم تسعفنا المصادر التي اطلعنا عليها في معرفة أسماء ولاة جند فلسطين في عهده، مما يصعب علينا تكوين صورة واضحة عن جنسياتهم، وولاءاتهم والتي يعتقد أنّهم كانوا من القيسية شأنهم في ذلك شأن بقية ولاة أقاليم الدولة في عهده التي كانت في الغالب من القيسية.

يشير استقراء الأخبار والروايات المختلفة المتوفرة لدينا إلى أنّ زعماء فلسطين، وأهلها قيسيهم ويمنيهم كانوا من المؤيدين للخليفة هشام بن عبد الملك؛ (105- 125هـ/ 724-734م) بسبب اتباعه سياسة التوازن بين القبائل واعتماده مبدأ الكفاءة في تعيين الأمراء الموالين له من زعماء العصبيتين على مختلف أقاليم البلاد، ولعله أتبع نفس السياسة في تعيينه لولاة جند فلسطين، واعتمد على مشاركة مقاتليهم في الحملة التي جهزها من أجناد بلاد الشام لفتح بلاد السند سنة 119هـ/737م بقيادة أسد بن عبد الله (الطبري (1407هـ)ج4، ص171)

وما أن تولى الوليد الثاني بن يزيد الثاني (125-126هـ/ 743-744م) الخلافة حتى ثارت القبائل اليمانية، وعلى رأسهم قضاعة وهم وقتئذ أغلبيه سكان أجناد بلاد الشام والأكثر عدداً في جند فلسطين على الوليد الثاني لإتباعه سياسة والده المتحيزة للقيسيين وتفضيلهم في المناصب والعطاء، وتهميش اليمانية والإساءة إليهم، وخاصة بعد حبسه شيخ اليمانية وزعيمهم خالد بن عبدالله القسري المتواطئ في محاولة اغتياله، وللحط من مكانة اليمانية قام الخليفة ببيع سيدهم خالد القسري والي العراق إلى يوسف بن عمر وهو من القيسية، فكرهته يمانية أجناد بلاد الشام، وحرضوا ابن عمه يزيد الثالث بن الوليد الأول بالثورة عليه، ومبايعته يزيد. (ابن الأثير، 1977، ج4، 262، 263)

وقفت اليمانية إلى جانب الخليفة يزيد الثالث، وساندوه في تثبيت أركان خلافته في بعض الأجناد الرافضة لبيعته، فكانوا قوام جيشه المُعد لإخماد ثورة القيسية في حمص، وثورة أهالي فلسطين الذين ثاروا على عامله في الجند سعيد بن عبد الملك سنة 126هـ/ 743م، (الطبري (1407هـ) ج4، ص 245، 271؛ ابن عساكر، 1995، ج21، ص214) وتفصيل ذلك: أنه عندما علم زعيم أهالي فلسطين وسيدهم سعيد بن روح بن زنباع باغتيال الخليفة الوليد الثاني بن يزيد الثاني، ورفض بعض ولاة الأقاليم بيعة الخليفة يزيد الثالث بن الوليد ارسل إلى الأمير يزيد بن سليمان بن عبد الملك الذي كان وأهله وأخوته ينزلون أرض جند فلسطين يخبره بمقتل الخليفة الوليد الثاني ويستشيره بالقدوم إليهم لاستلام ولاية الجند بدلا من سعيد بن عبدالملك، ويخبره أنه وقومه يحبونه وأهله لحسن جوارهم ولخصالهم الطيبة وأفضالهم الكثيرة ، وأنه أي "سعيد" وقومه على أتم الاستعداد للوقوف إلى جانبه في صراعه مع الخليفة، وفي الوقت نفسه كتب إلى والي الجند سعيد بن عبد الملك يطلب منه مغادرة أراضي الجند لعدم رغبتهم في بقائه، ويبلغه بأن أهالي الجند قد ولّوا عليهم يزيد بن سليمان، وبعد مغادرة سعيد بن عبدالملك ارض فلسطين تولّى إمرة الجند يزيد بن سليمان وطلب من أهالي فلسطين رفض بيعة الخليفة والتمرد عليه، والاستعداد لقتاله، وراسل الأمير

محمد بن عبد الملك والي جند الأردن الرافض أيضا لبيعة الخليفة يطلب منه مشاركتهم في الثورة على الخليفة ، وبموافقة والي الأردن تكوّن تحالف ضم أهالي جند الأردن وأهالي جند فلسطين بقيادة أبني روح بن زنباع "سعيد، وضبعان". وللقضاء على هذا التحالف المعارض قبل أنّ يستفحل أمره كلف الخليفة الأمير سليمان بن هشام بن عبدالملك بقيادة حملة عسكرية من أهل دمشق وأهل حمص قدّرت بعض المصادر عدد أفرادها بأربعة وثمانين ألف مقاتل وتمكنت من إنهاء التحالف وتفكيكه (ابن الوردي، 1966، ج1، ص177؛ الطبري (1407هـ) ج4، ص245)

تتفق معظم مصادر فترة الدراسة التي تم الرجوع إليها على الأسلوب والطريقة التي اتبعها الخليفة يزيد الثالث في تفكيك عرى التحالف المعارض له وحثهم على بيعته، فتشير معظم تلك المصادر إلى أن الأمير سليمان رغم كثرة عدد جنوده لم يكن راغبا الدخول في حرب مع أهالي جند فلسطين لا يمكن التنبؤ بنتائجها، فقرر اللجوء إلى سياسة المكر والخداع والتي تعتمد أسلوب المساومات في تحقيق الأهداف، فقام بمراسلة زعماء القبائل والقادة يرغبهم الدخول في طاعة الخليفة، ويمنيهم بالأموال والمناصب والوظائف؛ فكاتب الحكم بن راشد بن جرو سيد قبيلة بلقين والقائدين ضبعان وسعيد أبني روح بن زنباع يعد كل منهم بالأموال والإمارة على قومه، وفي الوقت نفسه انتدب الخليفة الأمير عثمان بن داود الخولاني، وكلّفه بحمل رسائل إلى محمد بن عبد الملك والي جند الأردن والى الأمير يزيد بن سليمان والي جند فلسطين، يحذرهم من بطش الخليفة ويدعوهما إلى ضرورة البيعة، ويتعهد لهما بالأمان ويمنيهم بالمناصب، ويعدهما بالولاية والإمارة، وبهذه الطريقة تمكّن من أخذ البيعة من والي جند الأردن بالقرب من بحيرة طبريا، ثم تابع مسيره إلى معسكر ضبعان بن روح، واتفق معه على وقف القتال مقابل الولاية على جند فلسطين. (الطبري (1407هـ) ج4، ص255، 256؛ ابن الوردي، 1996، ج1، ص177؛ أبو الفداء (د.ت) ج1، ص321؛ ابن خلدون، 1988، ج3، ص136) وينفرد ابن كثير برواية مفادها أن زعماء جندي الأردن وفلسطين وافقوا على وعود مندوب الخليفة وقائد جنده سليمان بن هشام، وانسحبوا من التحالف الذي كان يقوده الأمير يزيد بن سليمان، وتركوه في ساحة القتال وحده، الأمر الذي مكّن جيش سليمان بن هشام من نهب جيش يزيد بن سليمان وتتبع فلوله إلى طبرية، وفيها أي طبريا أخذ البيعة من أهالي جند الأردن للخليفة، (ابن كثير، 1988، ج10، ص13) ثم توجه إلى الرملة لأخذ البيعة من أهالي جند فلسطين، (ابن الوردي، 1996، ج1، ص177؛ أبو الفداء(د.ت) ج1،ص 321؛ ابن خلدون، 1988، ج3، ص136؛ ابن كثير، 1988، ج10، ص13) وأمّر عليهم ضبعان بن روح الجذامي (الطبري (1407هـ) ج4، ص255، 256؛ ابن كثير، 1988، ج10، ص13)

وبالتوفيق بين رواية ابن كثير وروايات غيره من المؤرخين نجد أن لا اختلاف بينهم إلّا في استمرارية معارضة يزيد بن سليمان الرافض لبيعة الخليفة المغتصب للخلافة والمتهم بقتل الخليفة الشرعي، وللمحافظة على استقرار الأوضاع السياسية في جندي الأردن وفلسطين واستمرار ولاء القبائل وزعمائها للأمويين نهج الخليفة يزيد الثالث سياسة جده عبدالملك بإسناد الولاية العامة على جندي فلسطين والأردن إلى أخيه أبراهيم بن الوليد، وجعل مقر إقامته مدينة الرملة. (الطبري (1407هـ) ج4، ص271).

تشير معظم الروايات التاريخية إلى أن ولاء أهالي جند فلسطين وزعمائه كان لبني أمية مع تباين آرائهم فيمن تكون في بني أمية وفقًا لطبيعة المرحلة وقدرة الخليفة على حفظ التوازنات بين العصبيات المتنافسة والمرتبطة بسياسة المصالح وتبدل الظروف والأحوال.

استغل الأمير الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع الجذامي التنافس بين أبناء البيت الأموي على من يتولّى الخلافة بعد تنازل الخليفة إبراهيم بن الوليد عن الخلافة (ابن عبدربه، 1965، ج5، ص210؛ ابن الأثير (1348هـ) ج4، ص399؛ اليعقوبي (د.ت) ج4، ص84؛ القلقشندي، 2012، ج3، 258) فثار بأرض فلسطين، وخلع طاعة القادة والأمراء الذين ولّاهم الخليفة إبراهيم، وأخذ يعمل على استمالة قبيلتي لَخم وجذام بالوقوف إلى جانبه والمناداة بخلافة سليمان بن هشام بن عبد الملك، (البلاذري، 1979، ج9، ص 196) إلا أن جهوده باءت بالفشل بعد تنازل الخليفة إبراهيم بن الوليد لمروان بن محمد عن الخلافة. (127–132هـ/ 744–749م)عن الخلافة. (ابن كثير، 1988، ج10، ص46)

أدى فشل بعض خلفاء بني أمية في منتصف العقد الثالث من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي في تحقيق التوازن بين القبائل العربية المتنافسة إلى فقدان سيطرتهم على القبائل العربية وزعمائها؛ بسبب ما ارتكبوه من أخطاء تمثلت باعتمادهم على بعض القبائل دون غيرها في الوصول إلى أهدافهم، فقد أدى اعتماد مروان بن محمد على القبائل القيسية التي أعلنت دعمها وتأييدها ومبايعته له بالخلافة؛ طمعاً في استرجاع مكانتها وامتيازاتها إلى إعلان القبائل اليمانية التمرد والعصيان عليه، وبذلك تجدد الصراع من جديد بين القيسية واليمانية، (ابن الأثير، 1994، ج4، ص403، 404؛ ماجد، 1982، ج2، ص66) فثارت ضده قبيلة الكلبية في حمص ويمانية الغوطة وأهل فلســـطين (ابن كثير، 1988، ج10، ص23؛ ابن الأثير، 1994، ج4، 403، 404، 426).

دفع رفض مروان بن محمد مبايعة الخليفة إبراهيم بن الوليد، كما ودفعت ودعوة أهل دمشق بمبايعته الزعيم اليماني ثابت بن نعيم الجذامي (الطبري (1407هـ)ج4، ص254؛ ابن عساكر،1995، ج11، ص143، 145؛ ابن الأثير (1347هـ) ج4، 321، 322) التحرك خفية بإثارة الفتن والقلاقل ضد مروان بن محمد رغم وساطته بالإفراج عن ثابت من سجن هشام بن عبدالملك، واصطحابه معه إلى مقر إقامته في منطقة أرمينيا من أعمال الجزيرة الفراتية، ولكن ثابت لم يحفظ له وداً ولم يراع له معروفاً، فتظاهر بالولاء لمروان، والتعاون معه وعندما سنحت الفرصة له بعد وفاة الخليفة يزيد بن الوليد سنة 126هـ/ 743م قام بتحريض زعماء قادة جند الشام بالتخلي عن مبايعتهم لمروان فأجابوه بعد إغرائهم بالوعود، إلّا أنّ مروان حذرهم عواقب فعلتهم فتخلوا عن ثابت فقبض عليه، وأودعه السجن هو وأولاده. (الطبري (1407هـ) ج4، ص254، 281؛ ابن الأثير (1348هـ) ج11، ص146،143) واستجاب مروان لرغبة زعماء قبائل فلسطين فعفى عنه وعيّنه والياً على جند فلسطين سنة 127هـ/744م بعد أن أخذ عليهم الوعود والمواثيق بمبايعته، وعدم التخلي عن طاعته، وكان هدفه من تلك الإجراءات التقرب من يمانية جند فلسطين واستمالة زعيمهم ثابت، وكسب ودّه بعدم تحريض يمانية الجند ضده (الطبري (1407هـ) ج4، ص281؛ ابن كثير، 1988، ج10، ص23؛ ابن عساكر، 1995، ج15، ص82؛ البلاذري، 1979، ج9، ص224)

يُعدّ الأمير ثابت بن نعيم الجذامي من أشدّ ولاة فلسطين خطراً وأكثرهم تمرداً على الخليفة مروان بن محمد؛ بسبب ميوله المضرية التي تتعارض مع نزعة ثابت بن نعيم العنصرية وتعصّبه لليمانية حيث يروى عنه قوله: "أنا الأصفر القحطاني لستُ لنعيم إن لم أخل الشام من أولاد قيس" (البلاذري، 1979، ج9، ص233؛ الجاحظ (1410هـ) ص156)

لقد ساهم الشعراء اليمانية بإذكاء العنصرية القبلية ومدح دعاتها، فقد مدح الشاعر عطية بن الأسود مولى كلب ثابت بن نعيم قائلا:

"يا ثابت بن نُعيم دعوةً جزعًا ... عقَّتْ أباها وعقَّتْ أمها اليمنُ

أتاركٌ أنت مال الله يأكُلُه ... غَيْر الجزيرةِ والأَشْراف تُمتهنُ

أُوقِدْ على مُضَرٍ نارًا يَمانيةً ... تشفي الغليل وتحيي بعدها السُّنَنُ"

(البلاذري،1979، ج9، ص233)

وبعد مبايعة مروان بثلاثة أشهر ومغادرته مدينة دمشق متوجها نحو حمص حرّض ثابت بن نعيم يمانية حمص على نقض بيعة مروان بن محمد والتمرد عليه، ولكن الخليفة مروان تمكن من الانتصار عليهم وعلى حلفائهم (الطبري، 1407هـ) ج4، ص281؛ ابن الأثير (1348هـ) ج4، ص390، 391)

شجع قيام الثورات الشعبية ضد مروان بن محمد في كل من دمشق وحمص والغوطة الأمير ثابت بن نعيم بالتمرد والعصيان. ففي سنة 127هـ/744م سار ثابت بن نعيم بجماعة من قبيلة لخم فلسطين، ومن تبعهم من يمانية فلسطين لمحاصرة طبرية، فتصدى له أهلها بزعامة واليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، وقتلوا من جنوده أعداداً كبيرة واستباحوا معسكره ، وتمكّنوا والمدد الذي أرسله الخليفة من هزيمته في طبريا فهرب ثابت واتباعه إلى فلسطين وقُبض على أبنائه "نعيم وبكر وعمران" وسيقوا أسرى وهم جرحى مكبلين إلى الخليفة مروان وهو بدير أيوب فأمر بمعالجتهم، (ابن خياط (1397هـ) ج1،ص374؛ الطبري (1407هـ) ج4، ص281، 383) واختبئ ثابت وابنه رفاعة مدة من الزمن في أراضي جند فلسطين، وقيل في منطقة جبال الشراة إلى الجنوب من أرضي فلسطين (ابن الأثير (1348هـ) ج4، ص321، 322، 338؛ ابن خياط (1397هـ)ج1، ص374؛ ابن خلدون ،1988 ،ج3، ص141؛ البلاذري، 1979، ج9، ص233) ومنها هربا خفية إلى مصر (الطبري (1407هـ)ج4، ص281، 282)

وبهزيمة ثابت وهروبه من فلسطين، عيّن الخليفة مروان بن محمد الزعيم الكناني الرماحس بن عبدالعزيز، وهو من قيسية فلسطين والياً على الجند، وأمره بالقبض على ثابت دون أن يتعرض له بأذى، وبدوره كلّف الرماحس أحد قادة جنده، وأبرزهم مروان بن الكوثر بملاحقة ثابت، وأصحابه الذين التجأوا معه إلى مصر، وفيها بلّغ أحد اتباع ثابت عن مكان إقامته، فقبض عليه مروان بن الكوثر وجهزه إلى الرماحس الذي بدوره أرسله إلى مروان مقيّداً، وسجن مع ببنيه الذين كانوا في سجن حران، وأمر بأن تصادر أموالهم وتقطّع أيديهم، وأرجلهم ويحملوا إلى مدينة دمشق ليلقوا على باب المسجد الأموي، ثم يصلبوا بالمسامير على أبواب مدينة دمشق (الطبري (1407هـ) ج4، ص 281، 282، 284؛ البلاذري، 1979، ج9، ص234؛ ابن الأثير (1348هـ) ج4، ص321، 322، 324؛ ابن خلدون، 1988، ج3، ص141) ولم ينج من أسرة ثابت إلّا ابنه رفاعة الذي غادر مصر إلى الشمال الإفريقي ومنها إلى الأندلس وفيها قتل. (الطبري (1407هـ) ج4، ص282، 284)

ترجع إحدى الدراسات الحديثة أن السبب الرئيس وراء كثرة تمرد ثابت بن نعيم؛ طموحه الشخصي وتجاهل الخليفة لمنزلته الاجتماعية. (العزي، 2017، ص123) غير أن استقراء الروايات التي تم الاطلاع عليها من المصادر التاريخية تشير إلى أن شفاعة الأمير مروان بن محمد به قبل أن يصبح خليفة لدى عمه الخليفة هشام بن عبدالملك، واصطحابه معه إلى مقر إقامته في أرمينية بعد مبايعته بالخلافة، واعتماده عليه في أحكام السيطرة على مناطق متعددة في الجزيرة الفراتية، وتعيينه والياً جند فلسطين، دليل واضح على أدارك الخليفة لمنزلته وعلو مكانته الاجتماعية، إلا أن أطماعه الزائدة ونزعته العنصرية وكرهه للخليفة مروان المتعاطف مع القيسية أعداء اليمانية كل ذلك كان وراء عدم ولائه للخليفة مروان بن محمد.

وبمقتل الأمير ثابت بن نعيم الجذامي الذي كان يُعدّ من أشدّ ولاة فلسطين خطراً على الخليفة مروان، وأكثرهم تمرداً، وأشدّهم تعصباً ضد القيسية، وبمقتله تغنّى بعض شعراء القيسية، وكتبوا القصائد التي تفخر بالقيسية وتهجو ثابت فهذا الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني المضري والمكنّى بابن ميادة ينشد هو يعبث برأس ثابت ولحيته قائلا:

"حذارك أن تلقاكَ يومًا بِموطنٍ ... . فوارس يهديها أبو الورد والصّقرُ

فوارس صِدْقٍ لا يبالونَ مَنْ ثَوَى ..... يجرّون أرماحًا حواملها حُمْرُ

وكوثرٌ المهدي لِمصْرَ جياده ..... وأرماحه حتى استقامت له مِصْرُ

فمالكَ بالشام المقدس منزلٌ ..... ولا لك في نجدٍ ذراع ولا شبرُ

بنجد ثبا منا وبالشام مثلها ... .متى تَعْصَنَا يغضب لنا البرّ والبحر"

(البلاذري، 1979، ج9، ص234)

وقد أورد القصيدة نفسها ابن عسكر بتعديل بسيط وعلى النحو الآتي

"حذار كأن يلقاه يوما بمواطن * فوارس يرديها أبو الورد والصقر

فوارس صدق لا يبالون من نوى * يجرون أرماحا عواملها سمر

هم تركوا ما بين تدمر والقفا * قفا الشام أحوارا منزلها صفر

وكوتر المهدي بمصر حياؤه * وأرماحه حتى أناخت له مصر

فما لك بالشام المقدس منزل * ولا لك في نجد ذراع ولا شبر

ومالك بين الأخشبين معرس * بمكة إلا حيث يرتقب الوتر

وعند الفزاري والعراقي عارض * كأن عيون القمر في بيضة الجمر

وإن لقيس كل يوم كريهة * وقائع مسرور بها الذئب والنسر "

(ابن عساكر،1995، ج11، ص143، 145)

استمر زعماء اليمانية في الأردن وفلسطين على عدائهم للخليفة مروان بن محمد بعد مقتل ثابت بن نعيم، فثار ضدّه الأمير هشام بن عَمْرو القيني، والأمير الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع الجذامي الذي سيطر على أراضي الجند. فعندما عبر الخليفة مروان بن محمد نهر الأردن، وهو في طريقه إلى مصر اختبئ عند الرماحس في فلسطين أثناء مطاردة الجيوش العباسية له، (الطبري (1407هـ) ج4، ص345) بعد تخلي قبائل القيسية عن مناصرته خوفاً على مصالحهم وامتيازاتهم التي لم يكن باستطاعة مروان الحفاظ عليها. (ابن عساكر، 1995، ج18، ص199) وعبّر الخليفة مروان لرفيقه الرماحس عن مدى استيائه من خذلان قبائل القيسية له وتغيير ولائهم للعباسيين قائلا:" يا رماحس انفرج الناس عنا انفراج الرأس ولا سيما قيس التي وضعنا معروفنا عندهم فِي غير موضعه، وأخرجناهُ من قوم كانت دولتنا تقوم بهم، فما رأينا لقيس وفاءً ولا شكرًا". (البلاذري، 1979، ج9، ص320) وبمقتل مروان في قرية بوصير في مصر بوشاية أحد اتباعه وهروب الرماحس من فلسطين استولى الأمير عبدالله بن علي العباسي قائد جيش العباسيين على جند فلسطين، وعيّن عليها الأمير الحكم بن ضبعان أحد أحفاد سيدّ اليمانية روح بن زنباع والذي بقي واليا عليه حتى خرج الأمير عبدالله بن علي العباسي عن طاعة الخليفة العباسي المنصور، فهرب الحكم بن ضبعان إلى بعلبك وفيها قبض عليه وقتل. (ابن عساكر، 1995، ج15، ص10؛ البلاذري، 1979، ج9، ص 323)

الخلاصة " النتائج"

أظهرت الدراسة النتائج التالية:

- تذبذب ولاء أمراء جند فلسطين، وولاء زعماء قبائله من (القيسية واليمانية) للخلافة الأموية تبعاً لمصالحهم الشخصية وامتيازاتهم القبلية ونزعاتهم الإقليمية.
- تولى الحكم في جند فلسطين ثلاثة وعشرون والياً في العهد الأموي موزعين على أبناء الخلفاء وأخوانهم، وزعماء القبائل الموالين للبيت الأموي من القبائل اليمانية أو القيسية.

- وقف أهالي، وشيوخ القبائل وزعماء جند فلسطين إلى جانب الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد وحفيده معاوية الثاني؛ لاتباعهم سياسية التوازن والمساواة في التعامل مع سكان الجند لذلك فقد ناصرت قبائل القيسية وقبائل اليمانية في مسعاه للوصول إلى الخلافة، وساعدوه في توطيد أركان الدولة عن طريق المشاركة في الجيوش الأموية المتوجهة لضم مصر، والحجاز إلى جسم الدولة الأموية، وقمع حركات التمرد والعصيان.
- ساندت قبائل جند فلسطين زعيم قبائل القيسية في بلاد الشام (الضحاك بن قيس)، وزعيم قبيلة جذام اليمانية في فلسطين (ناتل بن قيس الجذامي)، الخليفة عبد الله بن الزبير وبايعاه بالخلافة رافضين قرارات مؤتمر الجابية ومعارضين لاختيار مروان بن الحكم خليفة للمسلمين.
- تباين ولاء زعماء قبائل جند فلسطين لخلفاء بني أمية بعد انتقال الخلافة إلى لفرع المرواني بين الولاء والمعارضة تبعاً للمستجدات السياسية في المنطقة وتغير الظروف وتبدل الأحوال، فولاؤهم للخليفة يعتمد على قدرة الخليفة على حفظ التوازنات بين القبائل، وعدالته في توزيع المكاسب والامتيازات بين زعماء الجند. وعلى الرغم من موقف زعماء قبائل الشام المؤيد والمساند للخليفة معاوية وابنه يزيد، إلا أنّنا نجد أنّ قيسية بلاد الشام ومنهم قيسية جند فلسطين، ومعهم قبيلة "جذام فلسطين" قد وقفوا موقف المعارض من خلافة مروان بن الحكم لتعصبه لليمانية، فأيّدوا موقف ناتل بن قيس بمبايعة ابن الزبير والمعارض للخليفة عبدالملك بن مروان. وفي أواخر الدولة الأموية اتضح موقف قيسية جند فلسطين المعارض لأبناء وأحفاد الخليفة الوليد بن عبدالملك فثاروا في عام 126 هـ/744 م بزعامة يزيد بن سليمان بن عبدالملك على الخليفة يزيد بن الوليد بن عبدالملك (126هـ/ 744م) لتعصب الوليد ليمانية الشام، كما وانضم يمانية فلسطين إلى الزعيم الفلسطيني ثابت بن نعيم الجذامي في ثورته ضد الخليفة مروان بن محمد المتعصب للقيسية مساندين، وداعمين ليزيد بن الوليد بن عبدالملك في خلع الوليد بن يزيد وقتله.
- تولّى إمرة جند فلسطين ثلاثة من زعماء قبيلة جذام فلسطين بسبب معارضة زعمائها للخلافة الأموية.
- أتبع الخليفة عبد الملك سياسة انتهجها من جاء بعده من الخلفاء تقوم على تولية إمرة جند فلسطين إلى أحد أبناء الأسرة الحاكمة في فترة الفوضى والاضطرابات السياسية والتنافسات القبلية.

- يعود سبب التناحر بين زعماء قبيلة جذام فلسطين اليمانية (ناتل بن قيس، وروح بن زنباع) إلى التنافس على إمرة الجند وقيادته، واختلافهما في تحديد نسب قبيلة جذام الذي يرجعه روح بن زنباع إلى مضر، وليس للقحطانية.
- تغيير ولاء القيسية على مروان بن الحكم على الرغم من تحيزه للمضرية بعد مطاردته من قبل القوات العباسية متنكرين له ما قدمه لهم من خدمات وما منحهم من امتيازات.
- ازداد التنافس بين القيسية واليمانية في أواخر عهد الدولة الأموية بسبب اختلاف الخلفاء الأمويين في ولاءاتهم القبلية.

المراجع العربية

أ- المصادر الأولية:

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (1997). الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني(1994م). أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن تغري بردي، يوسف بن عبدالله الظاهري (د.ت). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (1988). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت.

ابن خياط، خليفة العصفري، (1397هـ). تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع، (1968). الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت.

ابن سلام، أبو عبيد القاسم (1986). الأموال، تحقيق محمد خليل فراس، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي (1962). الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، عن بنشره وتحقيقه سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق.

ابن العبري، غريغوريوس يوحنا بن هارون) بن توما الملطي (د.ت). تاريخ مختصر الدول، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت.

ابن عبدربه، أحمد بن محمد الأندلسي، (1965). العقد الفريد، شرح أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة، ط2، القاهرة.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (1995). تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ن).

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (1904). الإمامة والسياسة، مطبعة النيل، القاهرة.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر (1988). البداية والنهاية، تحقيق على شيري، دار إحياء التراث العربي ط1، بيروت.
ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي(1414هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت.
ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (1984). مختصر تاريخ دمشق، تحقيق روحية النحاس وآخرون، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، دمشق.
ابن الوردي زين الدين عمر بن منظور (1996). تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.
أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، (د.ت). المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، مصر.
الأصفهاني، أبو فرج علي بن الحسين (1955م). الأغاني، دار الفكر، دار مكتبة الحياة، ط2، بيروت.
البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (1988). فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (د: ت). أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ط1، بيروت.
الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (1410هـ). البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل، بيروت.
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (1985). سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت.
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (2003). تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (1952). تاريخ الخلفاء، تحقيق إبراهيم أبو الفضل، دار السعادة، مصر.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (1407هـ). تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
قدامة بن جعفر، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، (1981). الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، ط1، بغداد.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (2012). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت.

الكندي، محمد بن يوسف(1908م). الولاة والقضاة، مطبعة الإباء اليسوعيين، بيروت.

مجهول، (د: ت). العيون والحدائق، طبعة ليدن، (د.ن).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين ((د.ت). التنبيه والأشراف، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (2005). مروج الذهب ومعادن الجوهر، ضبطه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت.

المنقري، نصر بن مزاحم (1382هـ). وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية للطبع والنشر والتوزيع، ط2 القاهرة.

ياقوت الحموي، (شهاب الدين أبو عبد الله (1977) معجم البلدان، دار صادر، ط2، بيروت.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (د.ت). البلدان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

ب- المراجع الحديثة

البرهاوي، رعد محمود (2007). أجناد الشام ودورهم السياسي والعسكري في العصر الأموي، دار الكتاب الثقافي، أربد.

حسن، إبراهيم حسن (1964). تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة ط7، القاهرة.

خماش، نجده (1988). الإدارة ونظام الضرائب في الشام في عصر الراشدين، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، الندوة الثانية، تحرير محمد عدنان البخيت، الجامعة الأردنية، عمان.

الصلابي، علي محمد (2007). الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، لبنان للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت.

عبد الرحمن، إسماعيل حجاب (1987). الدور السياسي لأهل اليمن في الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل.

عرار، محي الدين عبد حسين (2017). ظاهرة العصبية القبلية ودورها في سقوط الدولة الأموية، دار الإعصار، عمان.

العزّي، محمد فياض (2017). جند فلســـطين من الفتح الإســـلامي إلى نهاية الدولة الأموية، (13– 132هـ/634 –749م) دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان.

ماجد عبد المنعم (1982). التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، مكتبة الجامعة العربية، ط3، بيروت.

اليوزبكي، توفيق، (1988)، دراسات في النظم الإسلامية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط3، الموصل.